

# اللغة والمرأة

بقلم أوتوجسبرنت  
ترجمته حسام الخطيب

## لغة النساء

وينبغي ان نلاحظ ان هناك افكارا لا حصر لها يعبر عنها الرجال والنساء بكلمة واحدة ، بل اننا نرى ان الفرق - حيثما وجد - يكون بين الجذور الاصلية لا في التغيرات الطفيفة كالمقاطع السابقة واللاحقة التي تضاف الى الكلمة الاصلية . وهناك نقطة أخرى لها اهميتها عندي ، فبناء على الشواهد التي ذكرت فيها صيغ الجمع شكلت كلمات الجنسين بطريقة واحدة ، وهكذا تكون قواعد النحو مشتركة بين الاثني مما يجعلنا نعتقد اننا لا نبحث فعلا في لغتين متميزتين بالمعنى الصحيح لكلمة لغة .

وقد يلقي بعض الضوء على مسألة لغة النساء من عادة ذكرت في بعض الكتب من تأليف المسافرين الذين زاروا هذه الجزر . وروشفور نفسه يقول باختصار ان النساء لا يأكلن الا بعد ان يفرغ الرجال من الاكل، ويقول «لافتو» - ١٧٢٤ : ان النساء لا يأكلن برفقة أزواجهن ابدا ولا يذكرنهم بأسمائهم بل يخدمنهم كالصيد ويوافق «الابات» على ذلك .

### المحرمات Tabu

ان عدم السماح للمرأة بذكر اسم زوجها يدفعنا الى الاعتقاد ان لدينا شاهدا على عادة تتخذ اشكالا مختلفة ودرجات متنوعة في العالم وهذا ما يدعى « بالحرمة اللفظية » فتحت ظروف معينة في اوقات معينة وفي اماكن معينة يمنع التلفظ بكلمة محدودة او اكثر لان هذه الكلمة - حسب المعتقد الخرافي - تجلب شرورا معينة كاثارة الشياطين وما شابههم ، وبدا من الكلمة الممنوعة على المرء ان يستعمل عبارة مفسرة مجازية او ينبش عن مصطلح منسي او يقنع الكلمة الاصلية ليكفل لها البراءة .

والواقع ان الحرمة اللفظية كانت تمارس بالفعل عند الكاريبيين القدماء وحين كانوا على شفا الحرب كان لديهم عدد من الكلمات السحرية التي لم يسمح للنسوة بتعلمها وحتى الشبان لم يسمح لهم بالتلفظ بها الا بعد اجتياز اختبار معين في الشجاعة والوطنية . وهذه الكلمات الحربية تمتاز بصعوبة لفظية شاذة « (روشفور ص ٥٠) » ، ومن السهل ان نلاحظ انه حين تكسب القبيلة عادة استخدام مجموعة كاملة من المصطلحات تحت ظروف معينة متكررة بكثرة مع وجود كلمات اخرى محرمة تحريما صارما يؤدي هذا الامر طبيعيا الى اختصاص مفردات كثيرة بجنس دون الاخر حتى ان المراقب قد يميل الى الاعتقاد بوجود لغتين مختلفتين عند الجنسين . وهكذا ليس من مجال للاعتقاد بوجود افناء شامل لجميع الاهالي الذكور على يد قبيلة اخرى ، مع انه من السهل ان نفهم كيف ان هذه الاسطورة قد تنشر لتوضيح الاختلاف اللغوي بين الرجال والنساء حين يصبح هذا الاختلاف من القوة بحيث يلفت النظر ويحتاج الى تحليل . والعلاقة بين لغة النساء المستقلة وبين الحرمة Tabu واضحة في بعض اقطار العالم كما هو الشأن في قبائل البانتو في افريقيا ، وعند الزولو لا يسمح للمرأة ان تذكر اسم حميها واسم اخوته واذا خطرت كلمة مشابهة او مقطع مشابه له في الكلام العادي فليها ان تستبدل به شيئا اخر يؤدي المعنى نفسه، وفي الاسرة المالكة تزداد صعوبة فهم لغة النساء لان المرأة تمنع من ذكر اسم زوجها وابيه وجده واخوته . واذا كان احد هذه الاسماء يؤدي معنى كابن الثور مثلا فكل كلمة يشملها المعنى ينبغي ان تجتنب وان تستعمل بدلا منها كل عبارات التفسير . ووفقا لما ذكر كرانز لا يقتصر

يقال ان هناك قبائل يتكلم فيها كل من الرجال والنساء لغة مختلفة كل الاختلاف ، او على الاقل لكل لهجة متميزة . ويجدر بنا ان نلقي نظرة على المثال التقليدي لهذه الحالة وهو القبائل الكاريبية في جزر الانتيل الصغرى ، وقد ذكرت هذه الحالة في كثير من المؤلفات اللغوية والتكنولوجية ، واول من اشار الى اختلاف لهجتي الجنسين في هذه القبائل دومينكان برتون الذي يقول في « المعجم الكاريبي الفرنسي » سنة ١٦٦٤ : ان الرئيس الكاريبي قد افنى كل المواطنين ما عدا النساء اللواتي احتفظن بنصيب من لغتهن الاصلية . وقد أعيد هذا الكلام في تقارير متتابعة كان أكملها واكثرها أهلا للثقة فيما يبدو ما كتبه روشفور الذي قضى وقتا طويلا بين الكاريبيين في منتصف القرن السابع عشر « انظر كتابه : التاريخ الطبيعي والروحي لجزر الانتيل » . يقول روشفور : « ان الرجال لهم تعابير كثيرة جدا خاصة بهم تفهمها النساء ولا تتلفظ بها ابدا ، ومن جهة اخرى للنساء كلمات وعبارات لا يستعملها الرجال ابدا والا عرضوا انفسهم للهزء وللاحتقار . وهكذا يظهر من محادثتهم ان للنساء لغة اخرى غير لغة الرجال . وان الاهالي المتوحشين في الدومينيكا يقولون ان سبب ذلك ان الكاريبيين حين هبطوا الجزيرة التي كانت تسكنها قبيلة الاراواك افنوا الرجال تماما واستحووا النساء فقط وتزوجوهن لكي يعمروا الجزيرة ، وقد احتفظت النسوة بلغتهن الاصلية وعلمنها لاولادهن . . ولكن مع ان الاولاد يفهمون لغة امهاتهم واخواتهم نراهم يقلدون اباؤهم واخوانهم الكبار ويكتسبون لغتهم ابتداء من الخامسة او السادسة . . وقد ثبت ان هناك بعض التشابه بين لغة الاراواك في القارة وبين نساء الكاريبي ، ولكن الرجال والنساء الكاريبيين في القارة يتكلمون لغة واحدة ، ذلك انهم لم يفسدوا لسانهم الطبيعي بالزواج من نسوة غريبات » .

وهذا هو المصدر الاساسي لكل ما كتب في هذا الموضوع . وينبغي ان نلاحظ ان روشفور لا يتحدث عن كلام كل من النساء والرجال كلفة او لهجة مستقلة تماما بل يشير الى فروق معينة ضمن اللغة نفسها خلافا لما زعم غالبا من وجود لغتين مستقلتين . واذا نحن نطلقنا في المعجم الصغير الملحق بكتابه ، وفيه مقارنة كاملة دقيقة اذ يدل على الكلمات الخاصة بالرجال بحرف H وبالنساء بالحرف F ، فسوف نرى ان كل ما توصل اليه من الكلمات الخاصة بأحد الجنسين لا يتجاوز عشر مفردات اللغة ، مع انه كان مهتما اهتماما شديدا بهذا الامر ولا بد انه بذل كل جهد ممكن ليجمع هذه الكلمات الخاصة من افواه الاهالي . وفي قوائمته توجد الكلمات الخاصة بأحد الجنسين اكثر ما توجد في اسماء مختلف درجات القرابة فكلمة «ابي» في لغة الرجال هي «يومان» وفي لغة النساء «نوكوشيلي» مع ان كلا الجنسين يستعمل كلمة «بابا» في مخاطبة الاب ، وجدي هي « ايتامولو » عند الرجال و « نارجونو » عند النساء وكذلك الشأن بالنسبة للخال والابن والصهر والزوجة والام والجدة والبنت وابن العم أو الخال ، فكل اسمه عند الرجال او عند النساء ، ويصدق الامر فيما يتعلق باسماء بعض أعضاء الجسد لا كلها وبعض الكلمات المتفرقة مثل صديق ، عدو ، فرح ، عمل ، حرب . . وهذه القائمة تضم تقريبا كل الكلمات المتفرقة التي أشار إليها روشفور .

الليفون « القديمة التي تكاد تنقرض اليوم في حين ان الرجال تركوها ليستعملوا اللتية Lettish وكذلك النساء الابليات لا يعرفن الا الابلية بينما الرجال الابان مزدوجو اللسان .

### الدرام السانسكربتية

لا توجد آثار اللهجات المميزة للجنس في اللغات الارية على الرغم من وجود تلك القاعدة الغربية في المسرحية الهندية القديمة التي تحتم تكم النساء « البراكرت Prakrit » أي باللهجة العامية في حين ان الرجال يتمتعون بميزة تكلم السانسكربتية « اللغة المزرکشة » ومثل هذا الفرق طبقي اكثر مما هو جنسي لان السانسكربتية هي لغة الالهة والملوك والامراء والبراهمانيين والوزراء والحجاب وسادة الرقص وذوي المناصب العالية وهي ايضا لغة قليلات من النساء ممن لهن أهمية دينية خاصة . اما اللغة العامية فيتكلمها رجال الطبقة الدنيا كاصحاب المخازن وموظفي القانون والمخاتير واصحاب الحمامات والصيداين ورجال الشرطة وكل النسوة تقريبا . هذا وان الفرق بين اللغتين هو فرق في الدرجة فقط فكلتاهما فرعان للغة واحدة - اللغة الاولى ارفع واكثر رصانة صلدة وجامدة ، والاخرى ادنى ولكنها اقرب الى الطبع واكثر لفة ، ومثل هذا الاسلوب السهل او لنقل الاسلوب الرث هو الاسلوب الذي تستعمله النسوة العاديات ، وهذا الفرق قد لا يكون اعظم من الفرق بين لغة القاضي و لغة البائع المنقل ، او بين لغة جوليت وتعبيرات مريبتها في مسرحية شكسبير . واذا صدف واستعملت جميع النساء - حتى بطلات المسرحيات منهن - اللغة الدنيا فان ذلك يرجع الى ان المرأة كانت تصنف في سورية اجتماعية واحدة مع رجال الطبقات الدنيا، ولم يكن لها نصيب من الثقافة الرفيعة وكذلك من اللغة الراقية ، وهما ميزتا نخبة محدودة من الرجال .

### المحافظة

وما دامت البراكرت « اللغة العامية » هي الصيغة المستحدثة المنتزعة من السانسكربتية يحق لنا ان نسأل : ما هو الموقف العام للرجال والنساء من هذه التغيرات المستمرة التي تطرأ على اللغات ؟ هل يمكن ان نعزو مثل هذه التغيرات لاحد الجنسين دون الآخر ؟ ام انهما كليهما يسهمان في مثل هذا التغير ؟ والجواب التقليدي هو ان النساء اكثر محافظة من الرجال وانهن لا يأمين جهدا للابقاء على اللغة التقليدية التي تعلمنها من ابائهن والتي ينقلنها بدورهن لاطفالهن، في حين ان التجديد يرجع الى مبادهة الرجال . يقول شيشرون في نص له : « كاني اسمع صوت بلوتس او نافوس حين تكلم حماتي ليليا » وذلك لان من الطبيعي ان تقوم النسوة بالمحافظة على اللغة القديمة من الفساد ، وما دمن قليلات الاستماع لطرائق الكلام التي يستعملها غيرهن من الناس وبذلك يحفظن ما تعلمنه اولا . لقد تحدث المهندس الافرنسي فكتور رينو ، الذي عاش مدة طويلة بين قبائل « البوتوكودوس » في جنوب امريكا وجمع مفردات قبليتين منهم ، تحدث عن السهولة التي استطاع بها ان يمكن مرافقين من المتوحشين من اختراع كلمات جديدة لكل شيء . فقد يصيح واحد منهم بكلمة ما غالبا كما لو كانت هذه الكلمة قد خطرت له مع فكرة طارئة ثم يردد الآخرون هذه الكلمة وسط عاصفة من الضحك والصيحات الهائجة ومن ثم يصيح تبني هذه الكلمة عاما . والغريب في الامر ان النسوة كن الوحيدات تقريبا اللواتي يشغلن انفسهن باختراع مثل هذه الكلمات الجديدة ، او تأليف اغان ومراث وكلمات بلاغية ... على ان تشكيل الكلمات المشكلة هنا يحتمل ان تكون اسماء لواضيع لم تعرفها قبائل « البوتوكودوس » سابقا ، فللحصان استعملوا « كرينجون kraiinejaune » ومعناها الاسنان الرئيسية ، وللثور استعملوا بوكيكري Po-kekri ومعناها مفسوخ القسدين، وللحمار استعملوا مجو - جون - اورون mgo - jonne - orone ومعناها الوحش ذو الاذنين الطويلتين . اما بشأن الموضوعات المعروفة التي اتخذت اسماء معينة فقد أوجد لها ألفاب جديدة قبلها الاسرة

التحريم على عناصر المعنى فحسب بل يتعدى ذلك الى اصوات معينة تدخل في تلك الكلمات ، وهكذا فالاسم الذي يحتوي على الصوت « ز » مثل « امانزي - أي الماء » ينبغي ان يغير الى « اماندابي » . واذا خطر للمرأة ان تنتهك هذا القانون فانها تتهم بالسحر وتعدم . وهذه الكلمات البديلة تقتبسها الاخرات وهكذا تميل الى ان تؤلف لغة للنساء خاصة . وعند الشيكيتوس في بوليفيا نجد الفروق بين القواعد النحوية عند الجنسين عجيبة « المجلة اللغوية - هنري ١٨٩٧ » ، واليك خلاصة لبعض الامثلة : - يشير الرجال بالقطع « تي » الى الذكر الفائب بينما لا تستعمل النساء هذا المقطع اللاحق ولا يميزن بين ضمائر الفائب والفائبة « هو ، هي ، ه ، ها » ولكثير من الاشياء الجامدة يستعمل الرجال حرف علة في اول الكلمة لا تستعمله النساء مثل كلب U - Tamokos ولخواطر مهمة جدا نجد الجنسين يستعملان كلمات متمايزة ، فاسماء القرابة عند الجنسين « الرجال اولا ثم النساء » كما يلي : - « الاب iyai و isupu ، والام ipaki و ipapa والاخ Traruki و icibaussi » .

ووفقا لما أورده ديكون وكروبر تعد « يانا » من بين لغات كليفورنيا اللغة الوحيدة التي تظهر اختلافا في الكلمات التي يستعملها الرجال والنساء بعيدا عن مفردات القرابة . وتظهر فيها الفروق حسب جنس المتكلم وذلك عند كثير من قبائل كليفورنيا كما في اجزاء اخرى من العالم، وهذا يرجع طبعا لاختلاف طبيعة القرابة باختلاف جنس المتكلم . ولكن هذا الاختلاف في « يانا » لغوي ، والغريب ان النماذج التي بين ايدينا تقدم خصائص يمكن ان نجدها في صيغ « الشيكيتوس » وأعني بذلك ان الصيغ التي تتداولها النساء اقصر من الصيغ التي يستعملها الرجال والتي تظهر كتمديد للكلمة بمقطع لاحق مثل النون او الالف . ولا نرى حاجة لذكر امثلة اكثر من تلك العادات التي توجد بوفرة بين القبائل المتوحشة ويمكن للقارئ الشغوف ان يعود الى لاش او بلاس او بارتلز . ويقول هذا الاخير : - ان النظام السواحلي لا يستعمل كليا بحيث يحل مكان اللغة العادية الا ان مثل هذا النظام يجعل لكل موضوع يحصر الاهائي على عدم تسميته باسمه الحقيقي رمزا يفهمه كل من يعنيه الامر . الا ان النسوة بوجه خاص يستعملن مثل هذه الرموز في اسرارهن للدلالة على الاشياء البديئة ، وهذه الكلمات اما ان تكون اسماء عادية اختيرت لتشير الى امور طبيعية او اسماء اخذت من اللغات القديمة او لغات البانتو وغالبا من الكازيفوها ، وذلك لان الطقوس الدينية السرية تلعب دورا رئيسيا بين قبائل الوازيغوها . ويقول بارتلز اخيرا ان للنساء - بيننا ايضا - تعابير او اسماء خاصة يستعملنها في مجال الحياة الجنسية . ويعتقد هذا الكاتب ان الشعور بالخجل نفسه هو الذي يمكن وراء هذه العادة ووراء تحريم لفظ اسماء الاقارب الذكور . على ان هذا التفسير ، مع ذلك ، لا يوضح كل شيء فان للخرافة والسحر دورا كبيرا في مثل هذه العادة وفي غيرها من المحرمات اللفظية كما سبق ان ذكرنا .

### اللغات المتنافسة

يرى الفرق بين اللغة التي يستعملها الرجال وتلك التي تستعملها النسوة في كثير من البلدان حيث تتصارع لغتان بشكل سلمي من اجل السيادة ، وذلك كله دون ان ترد قضية قضاء امة على اخرى او على رجالها فقط . فالرجال من المستوطنين الالمان والاسكندنافيين في امريكا اكثر اختلاطا من النساء بالشعب الذي يتكلم اللغة الانكليزية وبذلك تتاح لهم الفرص لتعلم الانكليزية اكثر من زوجاتهم اللاتي يبقين داخل البيوت . ومثل هذه الحالة تمثل بين اهالي الباسك حيث المدرسة هناك « والخدمة العسكرية وروابط العمل اليومي » تؤدي الى اضعاف الباسك لحساب الفرنسية ومثل هذه العوامل لها تأثير في الرجال اقوى من تأثيرها في النسوة ، ففي بعض الاسر تتكلم الزوجة لغة الباسك في حين ان الزوج لا يفهم شيئا من هذه اللغة ولا يدع اطفاله يتعلمونها، وقد اخبرني ولهم تومسن ان النسوة يحتفظن باخلاص شديد بلقصة

والجماعة ومن ثم اخذت بالانتشار اكثر فاكثر .

واستطيع ان استشهد ايضا بما قاله ادوردز في كتابه « دراسة صوتية للغة اليابانية » : في فرنسا وانكلترا تتجنب النساء الكلمات المولدة ثم انهن كثيرات الحذر من الابتعاد عن الصيغ المكتوبة فان العوت wh. لا يكاد يلفظ في انكلترا الجنوبية الا في مدارس البنات ، وعلى عكس ذلك نجد نساء اليابان اقل محافظة من الرجال سواء في قضية اللفظ او في اختيار الكلمات والتعابير . ومن الاسباب الرئيسية هنا عدم تأثر النساء باللغة المكتوبة بالدرجة التي يتأثر بها الرجال . ومن الامثلة الرئيسية على الحرية التي تتمتع بها النسوة ان هناك ميلا قويا للتخلص من الصوت (W) بلهجة طوكيو ولكن النساء يذهبن الى ابعد من ذلك في لفظ (atashi) التي يلفظها الرجال على الشكل الاتي (watashi) او (watakshi) ومعناها انا . وهناك ميل اخر لوحظ في لغة اليابانيات وهو واسع الانتشار بين الانكليزيات والفرنسيات وهو استعمال الكلمات القوية والمبالغة في تشديد بعض الحروف من اجل التأكد . والنساء اليابانيات يفقن الرجال كثيرا في اعتمادهن الشديد على المقاطع التي يقصد منها التهذيب مثل (ni - go , o) .

## علم الاصوات والنحو

فيما يتعلق بالتغيرات الصوتية التي تسببت في تعديل نظام الاصوات البريطاني دلت دراسات النحويين ان النساء اكثر تقدما في قضية اللفظ من الرجال وهذه الدراسات تشير بصورة بارزة الى رفع حرف الة باتجاه الحرف «i» وذلك يظهر واضحا في كثير من التعابير التي استعمالها السيد توماس سميث او ميلتون . وفي عام ١٧٠٠ كانت النساء في فرنسا تنزع للفظ حرف (e) عوضا عن (a) ... وقد تحدث جريماريستعام ١٧١٢ عن نسوة القصور اللواتي يلفظن medeme و boulevard عوضا عن madame و boulevard ...

وهناك تغير معين يلاحظ في عدة لفات يبدو ان للنساء بدأ كبرى في احدائه حتى ولو لم يكن مسؤولات وحدهن عنه .. ذلك هو الضعف الذي اعترى حرف الراء الذي كان قديما يلفظ بقوة من طرف اللسان وقد حاولت في مكان اخر ان اشير الى ان هذا الضعف الذي تحول الى اصوات متنوعة واحيانا الى حذف كامل للحرف ناتج عن تغير في الحياة الاجتماعية ، فصوت الراء المشدد المرتفع مقبول في الحياة العامة خارج المنزل ، ولكن الحياة داخل المنزل تفضل عامة العادات الكلامية الاقل ضجة ، وكلما كانت هذه الحياة المنزلية راقية مالت الى التخفيف من الضجيج بانواعه ، وحتى اصوات الكلام يتنابها التخفيف . وكان من نتائج ذلك انه لم يعد يسمح لصوت الراء بازعاج الاذن فقد عمد الى تطيقه بطراق مختلفة ، ويمكن ملاحظة هذه النتيجة في المدن العظيمة وبين الطبقات المثقفة في حين ان السكان القرويين يعمدون الى الحفاظ على الاصوات القديمة حفاظا شديدا ويمكننا ان نلاحظ ان الراء قد لعبت دورا في التقليل من شأن ترديد صوت الراء وهكذا فقد تجسدت في فرنسا في القرن السادس عشر رغبة لتجنب اهتزازات الراء بل والراء الخفيفة كما يلفظها الانكليز واستبدال الحرف (z) عوضا عنها . ولكن بعض النحويين القدامى اشاروا الى ان مثل هذا اللفظ خاص بالنساء وبعض الرجال الذين يقلدونهن . ويمكننا ان نلمس قليلا من بقايا هذه الرغبة في اللغة العادية ، فمن كلمة «chaire»

جاءتنا كلمة «chaise» ، وجدير بالذكر ان الكلمة الاخيرة احتفظ بها لاستعمال اليوم « وهي بالانكليزية مقعد او كرسي » لانها تخص النساء اكثر من الرجال بينما كلمة «chaire» لها دلالة خاصة اكثر على كرسي الرئاسة او الاستاذية . ثم ان الميل لاستبدال حرف ز (Z) او س (S) بعد صوت غير ملفوظ بدلا من الراء قد وجد سبيله بين نساء كريستيانيا في يومنا هذا ، فهؤلاء لا يقلن مثلا gzeuling عوضا عن grueling وهكذا حتى في مناطق سيبيريا النائية نجد ان نساء تشوكشي يقلن nidzak و nizak عوضا عن nirak

كما يلفظها الرجال ومعناها اثنان . ويقال ان هناك فروقا قليلة بين لفظ الجنسين في الانكليزية الحديثة ، ويقول دانييل تونز ان كلمة zopt يلفظها الرجال مع مد طويل وتلفظها النساء مع مد قصير ، وشبيه بذلك لفظ كلمة girl فهي على الشكل «ge:l» نسائية اللفظ وعلى النكّل «ge:l» لفظ رجال . وان لفظ «tsuldren» بدلا من «tsildren» أكثر ترددا على السنة النساء . وكذلك يمكن ان تكون النساء أميل لاعطاء كلمة waist coat مدا أطول في كلا المقطعين بينما الرجال - بسبب استعمالهم المتكرر لهذه الكلمة - يميلون الى اعطاء الكلمة شكلها التاريخي «weskat» ، وسواء ضوعف عدد الامثلة المعطاة - وهذا ميسور للمراقب المنتبه - ام لا فان تكون اكثر من شواهد منعزلة ليس لها دلالة عميقة . وعلينا ان نذكر انه من وجهة نظر علم الاصوات قلما يوجد فرق بين الرجال والنساء . ان الجنسين يتكلمان اللغة نفسها في مختلف المقاصد والافراض .

## انتقاء الكلمات

سنجد أثناء انتقالنا من بحث الاصوات الى بحث المفردات والاسلوب كثيرا من الفروق على الرغم من ان هذين الموضوعين لم يلقيا اهتماما كبيرا في المؤلفات اللغوية ، وان الذي قاله غرينو وتدرج في هذا المجال قليل : ( ان استعمال كلمة Cammon « عام » بمعنى عامي Vulgar هو خاصة نسائية واضحة ، ولهذا الاستعمال صدى نسائي مخث في حديث الرجال . ويصح الامر - ولكن بدرجة اقل - في كلمة Person « شخص » للدلالة على Woman « امرأة » خلافا ل lady ، وكذلك الحال بالنسبة لكلمة nice بدلا من fine عند الرجال ) .

وقد اخبرني اخرون ان الرجال يستعملون غالبا عبارة : - It's good of you في حين ان النساء يقلن It's very kind of you

ومع ذلك لا يمكننا ان نقول ان هذه التفصيلات القليلة مميزة حقا لكلا الجنسين . ومما لا شك فيه ان النساء في جميع البلدان تتجمل من ذكر اسماء اجزاء معينة من الجسم - او ذكر اسماء وظائف طبيعية لهذا الجسم - بنفس الطريقة المباشرة الجريئة التي يستعملها الرجال وخاصة الشبان منهم فيما بينهم . لذلك تمعد النساء لايجاد كلمات او عبارات مهذبة وملطفة قد تصبح مع كثرة الاستعمال كالكلمات الاصلية الصريحة ، وهذا ما يؤدي الى تجنبها والعمل على ايجاد كلمات مهذبة تحل محلها ، وهكذا دواليك . ففي رواية بنرو The Gay Lord Quex

تكتشف سيدة بعض الروايات الفرنسية على مائدة سيدة اخرى وتقول « هذه قليلة .. م .. م .. ليس كذلك » وبذلك لم تجرؤ على ذكر كلمة indecent بل كان عليها ان تعبر عن هذه الفكرة بلغة مشوشة ، وكذلك احتالت سيدة للتعبير عن كلمة «عار» naked أثناء وصفها عمل الفتيات في مصانع الذخيرة بقولها :

They have to take off every stitch from their bodies in one room and run in their innocence and nothing else to another room.

عليهن ان يخلعن كل قطعة على اجسادهن في غرفة معينة ويجريسن ببراءتهن ولا شيء غيرها الى غرفة اخرى .

ومن جهة اخرى ان حصافة النساء المصطنعة التي حرمت عليهن استعمال بعض الكلمات مثل : legs أرجل و trousers سراويل تبدو اليوم مضحكة ومبالغا فيها . ومما لا شك فيه ان اشمئزاز النساء الفرزي من استعمال التمييزات الخسنة والجافة وميلهن لتداول تعبيرات مقنعة وغير مباشرة كان لهما اثر كبير بل عالي على التطور اللغوي ، ومثل هذا التأثير يمارس غالبا على نطاق خاص وضمن الاسرة نفسها . على ان هناك شاهدا تاريخيا على تعاون جماعة من النسوة للقيام بمثل هذا الدور بصورة علنية جماعية في القرن السابع عشر في - التهمة على الصفحة ٧٧ -

## اللغة والمرأة

— تنمة المنشور على الصفحة ٢٦ —

فندق (رامبويه) في فرنسا ، وقد ناقشت هذه الجماعة كل ما يتعلق بقضايا التهجة وسلامة اللفظ والعبارة ، وقد فضلت تلك النسوة استعمال العبارات المتأنقة التي يمكن بواسطتها تجنب الكلمات الخشنة العامية . وقد كانت هذه الحركة نظيرة للموجة الأدبية التي أمت أوروبا تحت أسماء متعددة : Gongorism في اسبانيا ، Marinism في ايطاليا و Euphuism في انكلترا . الا ان هذه الجماعة من النسوة الفرنسيات تخطين في مطالبهن زملاءهن من الرجال وذلك حين رغبن في التأثير في اللغة الدارجة كاستعمالهن عبارة « باب الدماغ » للدلالة على الانف ، او عبارة اداة التنظيف للمكنسة ، وعبارة الرفيق الدائم للاموات والاجياء للدلالة على القميص ، وقد اثار تصنعهن عاصفة من الضحك انصبت على رؤوسهن ، وكادت مثل هذه الحذقة ان تنسى اليوم لولا هجاء مولير الخالد لهن في روايته « نساء متحذقات » و « النسوة العالمت » . وبعيدا عن مثل هذا الفلو ليس لنا ان نجد فصل المرأة في هذا الصدد بل علينا ان نهنيء تلك الامم ، وبينها انكلترا ، التي كان وضع المرأة الاجتماعي فيها مرتفعا بحيث أتاح للغة ان تكون أصفى وأتقى مما قد تكون عليه لو ان الرجال وحدهم كانوا اصحاب الشأن المطلق في اللغة .

ومن الامور التي تعترض عليها النسوة في اللغة التعبيرات التي لها علاقة بالقسم . وبينما يقول الرجل He told an infernal lie  
تفضل المرأة ان تقول He told a most dreadful fib  
ثم ان استعمال كلمات مثل a very uncomfortable place او very hot للتعبير عن الكلمة البسيطة جهنم hell هو امر متأصل عند النساء . وكذلك تفضل المرأة استعمال كلمة ever اثناء استعمال اسم الاستفهام لتزيد في التاكيد كما في المتألمين التاليين : -  
Who ever told you that ? او What ever do you mean ?  
وبالاضافة الى ذلك تعمد المرأة الى تجنب العبارات الاقوى مثل Who the devil ? او What the dickens ? وكذلك تستعمل عبارات تعجب خاصة لتفصح عن دهشتها مثل Good gracious me  
Dear me, Goodness gracious  
بالاضافة الى العبارات الاكثر رجولة مثل Good heavens و Great Scott وقد قبل ان عبارة « to be sure » تستعملها النساء اكثر من الرجال ، واعتقد ان هذه الامثلة يمكن ان تضاعف ، ولكن ما ذكرناه يكفي لفرضنا ، ومن السهل ان يلاحظ القارئ اننا ذكرنا هنا نظائر حضرية لما سميناه قبلا بالحرمان الجنسية ، وجدير بنا ان نلاحظ ان المنع في هذه الحالات تقوم به النساء انفسهن او المسنات من بينهن ، وقد لا تجمع عليه الشابات . ومن المؤكد ان الرجال يعارضون بحق الخطر الذي يسداهم اللغة وما تصير اليه من فهاة وبرود اذا ما رضيت بالعبارات النسائية ، اذ ان كلا من الحيوية والقوة لهما شأنهما في اللغة . ويكره اغلب الاولاد والرجال بعض الكلمات وذلك لشعورهم بان كل الناس يستعملونها في كل مناسبة . انهم يريدون تجنب كل ما هو مبتذل وتافه وتبني تعابير جديدة وحية لها نكهتها الخاصة بسبب جدتها . وهكذا يصبح الرجال هم المجددين الاوائل في اللغة واليهب يعود الفضل فيما نراه من تراجع بعض الاصطلاحات امام مصطلحات جديدة . فمثلا نجد الفعل الانكليزي القديم wearpan ذا دلالة ضعيفة جدا ولذلك سرعان ما استبدل بفعل cast المأخوذ من الاسكندنافية ، وبعد ذلك بقرون استبدل به فعل throw القوي ، وهذا الفعل نفسه يتراجع اليوم على السنة الصبيان امام فعلين هما chuck او fling ، وعلينا ان نتذكر ان هذه الافعال القديمة لا تزال مستعملة في ظروف معينة ومع ذلك يصعب ان نعود ونستعمل عبارة شكسبير في احدي رواياته

They cast their caps up

. وكثير من هذه التجديدات تعد عامية عند بدء ظهورها وبعضها يعجز عن شق طريقه الى اللقمة المقبولة . وليس يعني هذا ان افرق بين العامية واللغة المعترف بها الا بمقدار ما يكون الميل او الانصراف عن التجديد واستعمال لدخيل احد الطابع الانسانية الثانوية العائدة للجنس . ولا يغير هذا الامر ان الحركة النسائية الحديثة دفعت عددا من الفتيات لتقليد اخوانهن في اللغة كما في المجالات الاخرى .

### المفردات

ان خاصة المفردات شديدة الصلة بغيرها ، ومفردات المرأة بصورة عامة محدودة اكثر من مفردات الرجل ، فالمرأة تفضل عادة ان تسير في حفل اللغة الرئيسي متحاشية كل ما هو غريب او خارج عن موضوعها اما الرجال فيعمدون الى صوغ كلمات وتعابير جديدة او احياء التعابير القديمة اذا كانوا بهذه الوسيلة يتمكنون او يظنون انهم يتمكنون من ايجاد تعابير اكثر دقة وضبطا لافكارهم . اما المرأة فهي تتبع طريق اللغة الرئيسي في حين يبتعد الرجل عن مثل هذا الطريق ليسلك احبانا مسلكا ضيقا او ليترك طريقا جديدا . والذين تعودوا على قراءة الكتب الاجنبية يجدون صعوبة في قراءة الكتب التي كتبها رجل اكثر من تلك التي كتبها امرأة وذلك لاحتواء الاولى على كلمات غريبة ولهجات متنوعة ومصطلحات فنية ، ولذا فعلى هؤلاء الذين يودون تعلم لغة اجنبية ان يعودوا انفسهم اولا على قراءة روايات كتبها نساء لان تلك الروايات تهنيء لهم تعلم التعابير والمفردات الدارجة التي يحتاج اليها الاجنبي قبل غيرها والتي هي في ذاتها صلب تلك اللغة الاجنبية . ويمكن ان نعزو هذه الخاصة عند النساء الى ثقافتهن التي كانت وما زالت الى يومنا هذا اقل شمولاً وفنية من ثقافة الرجال ، وذلك لا يفسر كل شيء ، فقد اشارت بعض التجارب التي قام بها الاستاذ الامريكي جاسترو ان هذه الخاصة « المفردات » مستقلة عن عنصر التعلم . فقد طلب هذا الاستاذ من خمسة وعشرين طالبا « من الذكور والاناث » ينتمون الى الصف نفسه - وهكذا فهم متساوون في الخبرات الادبية - ان يكتبوا مئة كلمة بأقصى ما يستطيعون من السرعة ثم يحسبوا الزمن الذي يكتبون فيه ، ولم يسمح لهم بكتابة كلمات في جمل وكانت الحصيلة خمسة الاف كلمة ، وكثير من هذه الكلمات كانت متشابهة ولكن الاشتراك في التفكير كان اكثر عند النساء من عند الرجال . فالذكور استعملوا ١٢٧٥ كلمة مختلفة والبنات ١١٢٣ كلمة فقط ، وكانت النسبة المثوية للكلمات الغريبة التي استعملها الذكور ٢٩٠٨ ٪ وكانت عند الاناث ٢٠٠٨ ٪ فقط . بالاضافة الى ذلك كان مجال استعمال الذكور للكلمات ينصب على مملكة الحيوان ، واما البنات فقد وقع اختيارهن على الكلمات الخاصة بالاباس والافمشة ، اما في مجال الاطعمة فقد كانت كلمات الذكور لا تتجاوز الثلاثة والخمسين وعدد كلمات الاناث في المجال نفسه تجاوزت ١٧٩ كلمة . وبوجه عام كانت الخصائص الانثوية التي كشفت عنها هذه الدراسة اهتماما خاصا بالظروف الراهنة والانتاج الجاهز والزينة والفردية والحسوس . اما الرجل فقد ابان اهتمامه بالبعيد والبنساء والمفيد والعام والمعنوي من الامور .

وقد اشار الاستاذ جاسترو الى ناحية اخرى وهي الميل لاختيار كلمات ذات قافية واحدة في حرفها الاول والآخر ، وقد تجلج هذا الميل عند الرجال اكثر من النساء ، وهذا بدوره يلقي ضوءا على اهتمام الرجال بالخصائص الصوتية للكلمات وهو امر لا تعنى به النساء لان كل ما يهم المرأة هو استعمال الكلمات كما هي ، ومثل هذه الخاصة دعمت بعضهم الى القول ان الرجال مراوغون بالكلمات اما المرأة فلما تلتفت الى المقصود بالتورية بل فلما تقدم على حبكها . وهناك ظاهرة تفوق في قيمتها ما ذكرناه وهي انه ليس بين النساء كثيرات ممن كرسن نفوسهن لعلوم اللغة رغم ان اللغات الاجنبية ، قبل الاصلاح الذي ادخل على تعليم النساء ، كانت تنتمي الى تلك الزمرة من المواد التي اتقنتها المرأة في المدرسة وخارجها ، فهي ، مع الموسيقى والتطريز ، كانت تعد من المؤهلات النسوية الخاصة .

في قطع جملهن التعجبية قبل ان ينتهي المعنى ، وساختار بعض الاقوال اولها من رواية « سوق الفرور Vanity Fair » .

« ولهذا كاد يقمى على جيمما من رعبها وقالت : حسنا ، أنا أبدا . . .  
أي جريئة . . . » وحال انفعالها دون اتمام كل من الجملتين .

والقطع الثاني من احدى مسرحيات هانكن : -

السيدة أفرسلي : ينبغي ان اقول « وخانتها الكلمات » . . . وأخيرا  
من « علاقات ضعيفة » لكومبتون ماكنزي : - المشقة التي عانيتها - قالت  
هيلدا متعجبة - . . .

وهذه الاستشهادات توضح نماذج من الجمل التي أصبحت تتردد على الافواه لدرجة انها تحتاج الى فصل خاص في النحو الحديث . . .  
وهذه الجمل اعراض لقوية لناعية غريبة في نفسية المرأة لم تخف على  
الاذهان . يقول « مردث » عن احدى بطلاته : - انها تفكر في الفراغات  
كما تفعل اكثر الفتيات وبعض النسوة . و « هاردي » أفرد احدى  
بطلاته بدعوتها : هذه البدعة بين النساء تلك التي تستطيع انهاء فكرتها  
قبل ان تبدأ بالجملة التي تنقل هذه الفكرة .

وهذه الناحية نفسها تلاحظ في الطريقة النوعية التي يسلكها كلا  
الجنسين لبناء الجملة ووضع النقاط ، ولكن هنا - شأننا في كل ما  
ذكرناه في هذا الفصل - لا نستطيع أن نحدد فروقا مطلقة ، بل نذكر  
مرجحاً يمكن ان تدحض في شواهد كثيرة ولكنها تبقى مع ذلك مميزة  
لاحد الجنسين . واذا قارنا مقاطع طويلة من كتابة الرجال والنساء  
نجد في كتابة الرجال شواهد كثيرة جدا على التركيب المعقد تتداخل  
فيه جملة بجملة او جملة موصولة في وسط جملة شرطية او العكس ،  
او تتداخل الجمل التوابع وملحقاتها في حين ان الشكل النموذجي  
للمقاطع النسائية الطويلة هو العطف حيث تترن الجملة بالجملة على  
سوية واضحة تتدرج مع تتابع الافكار التي لا تنظم على نسق نحوي  
بل تبعا لحركة الانفعال وبواسطة التشديد والتبرؤ ووضع الخطوط تحت  
المهم .

وبلغة الاصطلاح يمكن ان نقول : ان التركيب النسوي أقرب الى  
النسق والتركيب الرجولي أقرب الى التداخل ، أو لعلنا نشبه جملة  
الرجل بمجموعة من الصناديق الصينية أحدها داخل الآخر ، في حين ان  
الجملة النسائية مجموعة من اللآلئ سلكت بخيط من احرف العطف .  
وفي مسرحية دانيماكية نشهد فتاة تسرد ما حدث لها في حفلة رقص  
وفجأة يقاطعها اخوها وقد اخرج ساعاته بهدوء قائلا : - انني اصرح انك  
قلت « وبعد ذلك » : خمس عشرة مرة في أقل من دقيقتين ونصف .

### خصائص عامة

ان سرعة تفكير المرأة يستدل عليه لغويا من بين استدلالات اخرى  
كثيرة بسرعة تكرار المرأة للضميرين « هي وهو » ، لا للدلالة على الشخص  
المذكور سابقا بل لتدل على شخص اخر ففزت اليه افكارها ، في حين  
ان الرجل بتفكيره البطيء يظن انها ما زالت في السياق نفسه . وقد  
اختير رومانس سرعة الإدراك عند الجنسين : فقد قدمت فقرة معينة  
لعدد من المثقفين وطلب اليهم ان يقرأها بأقصى ما يستطيعون وأعطيت  
لهم عشر ثوانٍ لعشرين سطرا ، وحالما انتهى الوقت اخذت الفقرة  
وتبين ان النساء عادة أنجح من الرجال في هذا الاختبار . ولم يكن أقدر  
من الرجال على القراءة السريعة فحسب ، بل كن أقدر على اعطاء فكرة  
عامة عن موضوع الفقرة . واستطاعت احدى السيدات ان تقرأ بسرعة  
تفوق اربعة اضعاف سرعة زوجها وحتى على هذه السرعة استطاعت ان  
تعطي فكرة احسن مما اعطاء زوجها عن ذلك القسم الضئيل الذي استطاعت  
قراءته من الفقرة ، ولكن اكتشف ان هذه السرعة ليست دليلا على التفوق  
العقلي وكان من بين القراء البطيئين رجال بارزون جدا . وقد اوضح  
« ايليس » الامر على النحو التالي « الرجل والمرأة » : - عند القارئ  
المسرع يبدو ان الجملة تدخل الذهن دون تمحيص لتتلا الإجراء الفارغة  
في الدماغ وعند القارئ البطيء يبدو ان الجملة تتعرض لفحص وتحقيق ،  
وكل حقيقة جديدة يبدو انها تثير الذخيرة المتجمعة من الحقائق اذ

وقد تبين ان المرأة اسرع من الرجل في النواحي اللغوية فهي اسرع  
منه في التعلم وفي السمع وفي الإجابة . اما الرجل فهو أبطأ ، انسه  
يتردد ويتفكر ويمضغ الكلمة ليتأكد من ذوقها ، وهو بذلك يهني نفسه  
لاكتشاف التشابه والتباين بين الكلمات سواء في المعنى او في الجرس  
مما يتيح له ان يحسن استخدام الاسماء والصفات في محالها .

### انظروف والاحوال

قد يذكر احبانا ان النسوة يكثرن من استعمال بعض الصفات مثل  
pretty أو nice لكن هناك اختلافات بين الرجال والنساء فيما  
يتعلق باستعمال الظروف والاحوال . وقد كتب لورد تشستر فيلد « العالم  
- كانون الاول 1٧٥٤ » : -

ان شقراوات بلادي لم يقنعن باغناء اللغة عن طريق اضافة كلمات  
جديدة تماما بل تخطين ذلك وقمن بتحسين اللغة وذلك بتوسيع  
المفردات القديمة وتطبيقها على دلالات جديدة متنوعة ، وهن يأخذن كلمة  
ويصرفنها كما يصرف الجنبه الى شلنات ليفي بحاجات الحياة اليومية .  
فمثلا اصبحت الصفة vastly الكast والظرف تعنيان أي شيء  
وهما كلمتان عصريتان على السنة العصريين من الناس ، فالمرأة الطريفة  
هي : vastly obliged ، أو vastly oppended أو vastly glad

أو vastly sorry الخ . . . وحتى لو ان هذه الكلمة لم تصد  
مقبولة الى حد بعيد فان اللورد تشستر فيلد باعتراضه على استعمال  
الكلمة قد وضع يده على خاصة بارزة وهي أن ولع النساء بالمبالغة يقود  
دائما الى ترجيح الاحوال والظروف القوية في دلالتها ، وهي تستعمل  
غالبا بصرف النظر عن دلالتها الصحيحة ، وهناك أمثلة كثيرة لذلك في  
الالمانية والروسية والانكليزية والفرنسية والدانيمركية ، وفي الانكليزية  
كلمات كثيرة قد يكون استعمالها الصق بالنساء منها : quite  
بمعنى very و just zweet ومن أبرزها zo

وقد قالت البنش « سنة 1٨٩٦ » عن هذه الكلمة ما يلي « راجع  
ستوفيل » : - ان هذا الظرف zo مفضل جدا عند السيدات وهو  
مرتبط بصفة وعلى سبيل المثال نذكر انهن مولعات جدا باستعمال مثل  
هذه العبارات ' He is so charming و It is zo lovely . . .

ويزيد ستوفيل على ذلك الشواهد التالية دلالة على ولع النساء بهذه  
الكلمة : - Thank you zo much , That is zo like you ,  
It was zo kind of you... The bonnet is zo lovely,

I am zo glad you have come .

وتأويل هذه الخاصة .  
النسائية المميزة يعود في رأيي الى ان النساء يتوقفن عن الكلام قبل ان  
تنتهي الجملة أكثر بكثير مما يفعل الرجال لانهن يشرن بالكلام قبل ان  
يفكرن بما سوف يقلن ، والجملة المألوفة : أنا جد مسرور لقدومك  
I am zo glad you have come. تتطلب في الواقع جملة

اخرى متممة قد تكون : . . . لدرجة أنني ينبغي أن أقبلك . . . أو لدرجة  
أنني ينبغي أن اقدم لك شيئا ممتازا ، أو أي شيء آخر يتطلبه السياق .  
ولكن هذه الجملة المنمة لا تتأني للمتكلم في حالة السرعة ويفهم من  
كلامه انه « جد مسرور لدرجة انه لا يستطيع التعبير عما في نفسه » ،  
وان تعاد هذه التجربة مرة بعد اخرى كتسبب كلمة « zo = جدا ،  
للغاية ، هكذا » مع التشديد في السياق اللغوي معنى « كثير جدا  
بالفعل » . وهكذا الشأن مع « zuch = هكذا ، كهذا » في الانكليزية  
. . ومع « ساوساران » في الدانيمركية وكذلك في الفرنسية (tellement)  
مع أنها قد لا تبلغ ما بلغته الانكليزية في هذا الصدد .

والظاهرة نفسها تكرر مع كلمة «الدرجة (to a degree) » التي  
تستدعي شيئا مكملا يدل على طبيعة الدرجة ، ولكنها تترك غالبا دون تامة  
مثل : - كان زواجه الثاني شادا لدرجة .

### الجمل

في كثير من رواياتنا ومسرحياتنا نجد أمثلة متعددة لعادة النساء

# سلسلة اجواز العالمية

صدر منها :

## ١ - المثقون

رائمة الكاتبة الوجودية الكبيرة

سيمون دو بوفوار

الحائزة على جائزة غونكور الفرنسية

ترجمة جورج طرايشي

في جزوين - ثمن الجزء ٧ ليرات لبنانية

## ٢ - السام

اخر رواية للكاتب الايطالي الشهير

البرتو مورافيا

وهي الحائزة على جائزة فياريجيو الكبرى

الثمن خمس ليرات لبنانية او ما يعادلها

## ٣ - ابك يا بلدي الحبيب

تصوير رائع للمأساة العرقية في افريقيا الجنوبية

تأليف الان بيتون

ترجمة خليل الخوري

الثمن ٥٠؛ فرشاً لبنانياً

منشورات دار الاداب - بيروت

تتبعهما وبذلك تعيق سير العملية العقلية .

وهذا يذكرني بسويفت « آراء حول موضوعات مختلفة » .

ان الطلاقة الكلامية الشائعة في عدد من الرجال وفي معظم النساء تعود الى ضالة المادة وضالة الكلمات . اذ ان كل من امتلك زمام اللغة وكان له عقل مليء بالفكار خليق ان يتردد في كلامه لكي يختار منهما « الافكار واللغة » في حين ان المتكلمين العاديين ليس لديهم اكثر من مجموعة واحدة من الافكار ومجموعة من الكلمات يلبسون بها الافكار، وهم دائماً على استعداد للكلام . وما اشبه ذلك بسرعة خروج الناس من الكنيسة حين تكون فارغة وصعوبة خروجهم حين تكون مزدحمة .

ولقد كانت طلاقة المرأة في الكلام موضع تفكك دائم وتسبب في انتشار عدد من الامثلة الشعبية في اقطار مختلفة فعند اورورا لي «وظيفة المرأة هي ان تتكلم» . وعند اوسكار وايلد « - النساء جنس اللزينة ، فليس لديهن ابداء ما يقلنه ومع ذلك يقلنه بطريقة فائنة » . وفكر المرأة لا يكاد يتكون في دماغها حتى يشب على لسانها . تقول روزالسند في ( كما تهواه ) : « - ألا تعرف أنني امرأة وينبغي أن أتكلّم حالماً افكر ؟ » وفي رواية حديثة تقول احدى الفتيات : - انني اتكلم على هذا النحو لكي أجد ما افكر به . ألا تفعل ذلك ؟ » وهناك أشياء كثيرة لا يستطيع الانسان ان يحكم عليها حتى يسمعها منطوقة .

ان تفوق النساء في سرعة النطق نتيجة لسكون مفرداتهن أقل اتساعاً واكثر تركيزاً من الرجال ، ولكن هذه الحقيقة تتصل بحقيقة اخرى لا مراء فيها : وهي ان النساء لا يلفن الذرى التي يلفها الرجال، وهن اقرب الى الوسط في كل الامور . وهافلوك ايليس الذي يقرر هذه الحقيقة في معظم الميادين يلاحظ محققاً ان القول بتوافر المبقرية بين الرجال اكثر بكثير من النساء اعتبر احياناً من قبل النساء نوعاً من التجني على جنسهن ، ولكن النساء لم يظهرن أي اهتمام لتكذيب ما يقال من ان البله أكثر انتشاراً بين الرجال منه بين النساء . ومع ذلك فالقولان مترابطان وهاتان الحقيقتان ليستا الا مظهرين لحقيقة حيوانية اعمق جذوراً وهي تنوع طبيعة الذكور .

وفي اللغة يبدو هذا الامر واضحاً جداً : فالمبقرية اللغوية في ارفع درجاتها والعجز اللغوي في اأط درجة يندر وجودهما بين النساء، وأعظم الخطباء وأشهر الادباء كانوا من الرجال ، ولكن قد يكون من العزاء للجنس الاخر ان نقرر انه يوجد بين الرجال - دون النساء - كثير ممن لا يستطيعون رصف كلمتين معا ، وهم يتلعثمون ويترددون ويعجزون عن تركيب العبارة المناسبة لاسط الافكار . وبين هذين الطرفين تتحرك المرأة بلسانها اللذيق الواثق القادر ابداء على تصريف الكلام ولفظه على اوضح وجه واصفاه .

ولعل الاسباب التي أدت الى تطور هذه الفروق ليست بعيدة المنال . وهي تعود بصورة رئيسية الى تقسيم الاعمال في القبائل البدائية والى حد بعيد في الشعوب المتحضرة . فمنذ الاف السنين كان العمل الذي أنيط بالرجال من ذلك النوع الذي يحتاج الى استعراض قوي للطاقة خلال فترة قصيرة نسبياً لا سيما في الحرب وفي الصيد . وفي مثل هذه الظروف كانت فرص الكلام معدومة بل ربما كان الكلام مصدر خطر عظيم ، وحين ينتهي الرجل من عمله القاسي كان يستسلم الى الكرى او يبدد وقته بطريقة ما ، أما المرأة فقد أنيطت بها سلسلة من الوجبات المنزلية لم تتطلب مثل تلك الطاقة العضلية الهائلة . ولم توكل بها الزراعة والاعمال الاخرى الكثيرة التي يتولاها الرجال في اوقات السلم العادية بل كلفت ايضاً بتلك المجموعة من الاعمال التي ظلت حتى وقت قريب جداً مهمتها الرئيسية : تعهد الاطفال والطبخ والخبز والخياطة والفضيل . . وهي أشياء لا تتطلب فكراً عميقاً وكانت تؤدي في وسط مجموعة من النسوة وما اسهل ان ترافقها ثرثرة مستنظفة . وما زالت آثار هذه الاوضاع قائمة في هذا العصر بالرغم مما يحدث في أيامنا هذه من تطورات اجتماعية هائلة قد تكون سبباً قوياً في تعديل العلاقات اللغوية عند الجنسين .

تعريب حسام الخطيب